دول جنوب أفريقيا :

أتحاد جنوب أفريقيا أنموذجاً :

يتكون شعب جنوب أفريقيا اليوم من عدة عناصر هي : شعوب الخويسان Khoisan، ومجموعات الناطقين بلغة البانتو Bantu وسوتو Sotho وتسوانا Tswana، والمستوطنون الهولنديون والفرنسيون الذين يشكلون الآن ما يعرف بالأفريكانيرز Afrikaners، والمستوطنون البريطانيون، والملونون، والأسيويون القادمون في معظمهم من الهند.

بداية التّواجد والاستعمار الهولندي لجنوب إفريقيا منذ القرن 17م باعتمادها على شركة الهند الشّرقية الهولندية، أضخم الشّركات التّجارية الأوروبية الحديثة المنافسة في آسيا وإفريقيا والعالم الجديد، وهي الوسيلة التي نفّذت بها هولندا سياستها الإمبريالية بإفريقيا، فعملت على إرسال البعثات الاستكشافية، وبناء الحصون، والمراكز العسكرية، وإقامة محطّات تموين بالمنطقة، ليتحوّل الأمر إلى استعمار، وذلك بإقامة أوّل مستوطنة لها في رأس الرجاء الصالح، لممارسة سلب ونهب الثّروات الإفريقية. إلاّ أنّها عجزت عن إدارة مستوطنتها فيما بعد، ونشبت منافسة بين فرنسا وبريطانيا وهولندا حول المنطقة. وفي عام 1795م احتلتها بريطانيا لمنع فرنسا من احتلالها. وفي25 مارس من عام 1802م عُقد صلح أميان بين بريطانيا وفرنسا وأعيدت المنطقة إلى أحفاد الهولنديين البوير. وفي مؤتمر فيينا عام 1815م قرّرت الدول الأوروبية ضمّها إلى بريطانيا، فبدأت هجرات البريطانيين إليها، وأخذوا يضيّقون الخناق على الهولنديين الذين اضطروا للهجرة إلى الدّاخل. الأمر الذي أدّى إلى حرب البوير– وهي مواجهة بين البريطانيين وأحفاد الهولنديين، ما بين (1899– 1902)– للسّيطرة على الذّهب ومناجم الماس، وخلال هذه السّنوات الثلاث من الصراع أودت الحرب بحياة عشرات الآلاف من الجنود البريطانيين ومزارعي البوير وأفراد أسرهم، والسّكان الأفارقة الأصليّين الذين حوصروا في مرمى النّيران المشتعلة بين الطرفين، وبمقتضى معاهدة بريتوريا في 31 ماي 1902م فقدت جمهورية البوير استقلالها، وهكذا قام اتحاد جنوب إفريقيا عام 1910م من الكيب، وهي المستعمرة الرئيسية لبريطانيا، ثم ناتال التي ضُمّت إلى بريطانيا، ثم الترنسفال والأورانج الحرّة، وأصبح جنوب إفريقيا يشهد نوعين من المستوطنين البيض أحدهما البوير والآخر بريطانيا.

وقد أعلن اتحاد جنوب أفريقيا عام ١٩١٠م بعد صراع طويل بين الاستعمار البريطاني وبين البوير انتهى لصالح البريطانيين، وتشكل اتحاد جنوب أفريقيا من أربعة أقاليم أو مستعمرات هي : الكاب، النتال، الترنسفال، دولة الأورانج الحرة، ومنذ عام ١٩١٢م بدأت الحركات السياسية تظهر، فولد ذلك العام (المؤتمر الوطني الأفريقي) الذي ظل بمثابة الحركة الوطنية الأفريقية في جنوب أفريقيا، والذي اتخذ في البداية سياسية أو طريقة الاصلاح الدستوري المعدل، وأن أصبح الآن يمارس نشاطه سراً : وجاء إنشاء هذا الحزب بالتعاون بين الانجليز والأفريكانز، وقد تحقق التعاون بين الطرفين داخل اطار هذا الحزب الذي حكم اتحاد جنوب افريقيا للمدة 1910-1924، وكان على رأس هذا الحزب الجنرال (لويس بوثا) من أقليم الترنسفال، كما يضم الجنرال (يمى هيروتزوج) وهو من الأفريكانز والوطنيين وكذلك معظم السكان المتحدثين بالانجليزية.

كما نشط السكان الهنود أيضا في جنوب أفريقيا بقيادة الشباب (مهاتما غاندي) Mahatma Gandhi لمقاومة قوانين التفرقة العنصرية مقاومة سلبية، وكانت هذه المعركة مقدمة لمعارك السود فيما بعد. وقد تشكل في عام ١٩٢١م حزب جنوب أفريقيا الشيوعي على يد البيض، ولكنه سرعان ما انضم اليه السود وأصبح له نشاط واضح في منظمة اتحاد التجارة لخدمة العمال السود، واتجه فيما بعد الى التحالف مع المطالب الوطنية للسود، كما أن العمال الذين يتحدثون اللغة الانجليزية شكلوا حزب العمال الذي أصبح المتحدث باسم آلاف من الأفريكانز الذين لا أرض لهم، والذين عملوا بالمناجم والذين حرصوا على منع البانتو من مزاولة الأعمال التي تحتاج إلى مهارة.

وعلى الرغم من أن المؤتمر الوطني الأفريقي قد افتتح له فروعاً في كل من الكاب والناتال والترنسفال ودولة الكنغو الحرة، فانه لم يقدم للأفارقة شيئا فاتجهوا الى اتحاد التجارة الذي شكله مواطن من (نياسالاند) غير أفريقي عام ١٩١٩م يدعى (كدالي) الذي زود الاتحاد ببرنامج عملي مما جعله يلقي تأييداً كبيراً بعد أن انضمت اليه مئات الألوف من عمال البانتو وهجروا المؤتمر الوطني الأفريقي الذي يسيطر عليه زعماء برجوازيون من الأفريكانز لم يحفلوا بمطالب الأفارقة أهل البلاد الأصليين.

وخلال العقد الثاني من القرن العشرين انقسم الحزب الوطني من حزب جنوب أفريقيا عام ١٩١٣م وكان للحزب الجديد وجهة نظر شوفينية Chauvinist عن الحكم ومستقبل السكان

الأفريكانز. وقد اشترك في الحكومة الائتلاف مع حزب العمال خلال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن خلال الكساد الاقتصادي : وقامت سياسية هذا الائتلاف على عزل السود في الداخل وعمل نظام التفرقة العنصرية. ولكن في عام ١٩٣4م انضم حزب جنوب أفريقيا والحزب الوطني في حزب واحد أطلق عليه بعد أربع سنوات (١٩٣٨م) اسم الحزب المتحد الذي كان حزب المعارضة الأساسي، والذي استمر حتى عام ١٩٧٧م عندما انقسم الى حزبين هما حزب الجمهورية الجديد، وحزب الإصلاح التقدمي.

وفي المقابل ظهر أواخر عام ١٩٣5م ما عرف باسم، اتفاقية شعوب أفريقيا، التي أصبحت أقوى هيئة تمثل شعوب البانتو وكانت تهدف الى تحقيق المطالب الوطنية في النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وعندما انضم اليها الملونون والهنود الذين قاسوا أيضاً من قوانين التفرقة العنصرية ظهرت (الحركة المتحدة لغير الأوربيين) التي وضعت لها برنامجا يحتوي على حقوقهم وهى :

1- حق كل أفريقي يزيد عمره عن ٢١ عام في الانتخاب والترشيح العضوية البرلمان ومجالس الأقاليم.

٢- حق كل طفل أفريقي في التعليم الاجبارى المجاني حتى سن 16 عام.

3- حق الحماية وحق العمل والتنقل بحرية.

4- المساواة الكاملة في الحقوق لجميع المواطنين ولا تكون هناك تفرقة بسبب اللون أو الجنس.

5- مراعاة حقوق الأفريقيين في الاراضي وفي القوانين المدنية والجنائية وفي نظام الضرائب وفي التشريعات العمالية.

ورغم أن هذا البرنامج لم يطالب بامتيازات لأهل البلاد واعني شعوب البانتو وانما طالب بالمساواة الجميع بيضا وملونين وأفارقة وأسيويين، فقد عارضه البيض وكان هذا أمرا طبيعيا حيث لم يكونوا على استعداد لاعطاء الأفارقة حقوقهم، لكن الأمر غير الطبيعي أن يعارض الهنود هذا البرنامج، بل رفض تجمعهم المسمى المؤتمر الوطني الهندي الشرقي في جنوب أفريقيا التعاون مع البانتو.

ويرجع موقف الهنود هذا الى أن الأثرياء الهنود عملوا على الابتعاد عن الوطنيين السود والتقرب إلى البيض على أمل الحصول على امتيازات ضئيلة تتمثل في رفع القيود الموضوعة

على التجار الهنود، ونتيجة لسيطرة الأغنياء الهنود على فقرائهم في جنوب أفريقيا امتنع فقراء الهنود عن التعاون مع الوطنيين الأفارقة الساعين لنيل حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولكن رغم موقف الأغنياء الهنود الخانع للبيض فقد ظهر من بينهم زعماء نادوا بالتعاون مع الأفارقة والملونين أخص منهم دكتور (نيكر) رئيس المؤتمر الهندي بالناتال ودكتور (دادو) رئيس المؤتمر الهندي بالترنسفال.

ورغم أن الأرض أفريقية والمستوطنون البيض أجانب وافدون عليها، فقد حرم على الأفارقة أهل البلاد العمل بالسياسة، بل خضعوا لتقسيمات وضعها البيض بحيث أصبحوا طائفتين : الأولى مستأجرو الأراضي وزنوج المدن، وهذه الطائفة تخضع لقوانين تحدد اقامتها وحدود سفرها وتشردها، والطائفة الثانية هم الأفارقة القليون وكانت تخضع لقانون الأراضي الوطنية الصادر عام ١٩١٣م الذي حدد مساحة تقدر بنسبة (6%) من مجموع مساحة الأراضى للسكان الوطنيين الأفارقة البالغ عددهم ثلاثة أرباع سكان جنوب أفريقيا، والذين فرض عليهم الأفارقة معازل لايتخطونها إلا بإذن.

وخلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الحالي دار صراع بين الأفريكانز والبريطانيين حيث انشق الحزب الوطني وتزعم الدكتور (مالان) Malan الجناح المنشق والذي عمل على تنظيم سيطرة الأفريكانز في مجتمع جنوب أفريقيا في تلك الفترة لمواجهة السيطرة المتمثلة في الناطقين بالانجليزية على التجارة والصناعة. كما وجدت تنظيمات سرية يتعاطف كثير من أعضائها مع المبادىء النازية. وقد فاز الحزب الوطني في انتخابات عام 1948م على أساس سياسة التفرقة العنصرية، وبذلك الفوز تحققت السيادة لأفكار الأفريكانز الى أن جنت ثمارها با علان جمهورية جنوب أفريقيا عام 1960م.

وقد أصبحت معظم أساسيات سياسة التفرقة العنصرية معروفة للجميع والتي تتمثل في : التمييز العنصري في الحياة العامة وفي الاقامة، وفي هجرة العمال وفي السيطرة على حركة السود في المدن، وتحركات السكان الى المعازل، ونظام تعليمى خاص، ومنع تحقيق الحقوق الناتجة عن نشاط اتحاد التجارة، ووجود حاجز الصناعة اللونى. وبسبب الضغوط الداخلية والخارجية تعرضت هذه الأسس لبعض التغيرات شملت الحاجز اللوني، ولم تكن هناك تغييرات

تؤثر في الاحتفاظ بالحركة أو القوى العاملة في يد البيض، وقد استدعى الأمر نتيجة لمطالب الوطنيين تكليف الشرطة بمراقبة تنظيمات السود.

وبعد فوز أعضاء الحزب الوطني في انتخابات عام 1948 م بحثوا بسرعة كيفية سحق اعدائهم الحقيقيين، وبدأو بأساليب عنيفة وجهوها أولاً ضد المنتمين للمذهب الشيوعي في عام 1950م. ومنذ ذلك الحين ظل هناك سيطرة لحكم القانون حتى أصبحت السلطة مركزة في يد أجهزة الشرطة مثل (بوليس الأمن) و(مكتب أمن الدولة) وبعد فترة انتخابات عام 1948م أيضا صار المؤتمر الوطني الأفريقي ANC African National Congress راديكالياً وخاض معارك تحدي في الخمسينات من هذا القرن كما أن فرعاً أخر هو (المجلس القومي الأفريقي) Pan Africanist Congress (PAC) نشط هو الآخر : وقد هبت ثورة عارمة للفلاحين في عام ١٩٦٠م وأعلنت حالة الطوارىء في (ترانسكي)، Transkei، وقد شهدت الستينيات من القرن الحالي استمرار عملية سحق الوطنيين باطلاق النار على جموعهم.

وقد وجهت ضربة قاصمة الى حركة التحرير في عام 1963م بإلقاء القبض على قادة الحركة في (ريفونيا Rivonia) حيث وضعوا في السجن لمدى الحياة كان منهم (نلسون مانديلا) Nelson Mandela زعيم حزب (ANC)، مع عدد من قادة نفس الحزب ومن حزب (PAC) ومنظمة تحرير ناميبيا الوطني المعروفة باسم (سوابو SWAPO) ولكن السبعينات من هذا القرن شهدت ظهور منظمات قانونية وان مارست نشاطها في الخفاء وتمثلت هذه المنظمات الوطنية في : اتفاق الشعوب السوداء Black People’s Convention، ومنظمة طلاب جنوب أفريقيا South African Student’s Organization. وقد تلقي الصراع المتطور دفعة قوية بتأثير تحرير كل من أنجولا وموزمبيق، ونشاط الفدائيين ضد حكومة «ايان سميث، Ian Smith في روديسنيا، وازدياد الحرب في ناميبيا.

كما أن مرحلة جديدة بنوعية أخرى من النشاط الوطني بدأت في يونيو 1976م بقيام مظاهرات في (سويتو) Soweto، بالقرب من مدينة جوها نسبرج، ومن ثم انتشرت في كل البلاد، وفي ذلك العام قتل من السود 617مواطنا وهذا العدد أعلنه معهد جنوب أفريقيا للعلاقات العنصرية وان كانت الحقيقة تذكر أن عدد القتلى أكثر من هذا العدد بكثير. ورغم الضغوط الداخلية والدولية على حكومة البيض في جنوب أفريقيا للتخفيف من سياستها العنصرية فانها

قاومت هذه الضغوط بشدة. وباستخدام البوليس بأساليبه القمعية، كما قتل قائد النشاط المعنوي للسود (ستيف بيكو) Steve Biko في سجن البوليس، وفي أكتوبر ١٩٧٧م وضع حظر شامل على جميع المنظمات السوداء والمضادة للتفرقة العنصرية، وعلى الصحيفة السوداء الرئيسية (العالم The World). وحينما حصل (فورستر Vorster) وحكومته على نصر في انتخابات أواخر عام ١٩٧٧م استمر في مواقفه المتعنتة ضد الأفارقة.

ومن الملاحظ أنه حتى الآن لازالت حكومة جمهورية جنوب أفريقيا تمارس أنواعا من التفرقة العنصرية بين سكان البلاد بحيث يكون للبيض كافة الحقوق بينما يحرم السود أهل البلاد من كثير جدا من هذه الحقوق.